الدولة الطاهرية:

أسس هذه الدولة **طاهر بن الحسين** أحد كبار قواد الخليفة المأمون، كان الأخير قد ولاه خراسان وأعمال المشرق كلها سنة 205هـ/ 820م فاتخذ من مدينة نيسابور مقرا له، ورغم أن طاهر بن الحسين كان شبه مستقل في شؤونه الداخلية والإدارية إلا أنه لم يكتف بهذا فقام سنة 207هـ/ 822م بخلع الخليفة وخطب في صلاة جمعة إلى أن بلغ ذكر الخليفة فأمسك عن الدعاء له وقال: " اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك، واكفنا مؤونة من بغى علينا، وحشد فيها بلّم الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين". غير أن محاولة الانفصال هذه زالت في مهدها، ذلك أن طاهر بن الحسين توفي في نفس يوم خطبة الجمعة، ويشير اليعقوبي إلى أن للمأمون يد في موته.

كان الطاهريون يدفعون للخليفة مقدارا معينا من الضرائب بانتظام، وطبقا لما يذكره ابن خرداذبه فإن الضريبة التي دفعها عبد الله بن طاهر سنة 211- 212هـ/ 826-827م قدرت ب: 4484600 درهم، 13 رأسا من الخيل، 2000 رأس غنم، 2000 عبد من الغز (قيمتهم 600 ألف درهم)، 1187 قطعة من الثياب، ومن قطع الحديد 1300 قطعة .

أما قدامة فذكر أن عبد الله قد تعهد سنة 221هـ/ 836م بدفع ثمانية وثلاثين مليون درهم. في حين حدّد اليعقوبي خراج خراسان أيام الطاهريين بأربعين مليون درهم .

ومن الطبيعي أن يتصرف الطاهريون فيما تبقى من مداخيل، إضافة إلى خمس الغنائم التي كانوا يجنونها من حروبهم ضد غير المسلمين، كما كانت السلطة في بغداد ترسل إليهم ثلاثة عشر مليون درهم كل سنة يضاف إليها الهدايا التي كانوا يتلقونها .

ظلت علاقة الأسرة الطاهرية بالخلافة العباسية قوية وقائمة على التفاهم والتعاون وبقي آل طاهر يحكمون خراسان إلى أن سقط حكمهم على يد يعقوب بن الليث الصفار (ت 265/ 879م) سنة 259هـ/ 872م وظل منصب شرطة بغداد وراثيا لأفراد هذه الأسرة حتى سنة 300هـ/ 912م.

أدى اتساع الأقاليم الإسلامية زمن الخلافة العباسية، وبُعد هذه الأقاليم عن عاصمة الدولة ومركز قوتها في بغداد إلى ظهور دويلات وإمارات مستقلة عن الدولة العباسية سواء في المشرق أو المغرب، لذا ستتمحور دراستنا حول إحدى الدويلات التي ظهرت في المشرق الإسلامي أثناء العصر العباسي وهي الدولة الطاهرية.

1-أصل الطاهريين:

ينتسب الطاهريون إلى رزيق بن ماهان مولى طلحة بن عبيدالله الخزاعي والي سجستان من قبل مسلم بن زياد. اذن فهم من الموالي الفرس الذين أسلموا في العصر الاموي وبرزوا في خدمة الدولة الأموية، وعندما قامت الدعوة العباسية في خراسان كان بنو رزيق من العناصر الفارسية التي استجابت للدعوة الجديدة.

وقد اتصل مصعب بن رزيق بسليمان بن كثير الخزاعي الداعية العباسي، فلما نجحت الدعوة وانتصر بنو العباس على بني أمية في معركة الزاب سنة 132هـ وقامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الاموية كافأ العباسيون هؤلاء الموالي على الدور الذي بذلوه في خراسان لنصرة الدعوة العباسية فولوا مصعباً بلدة بوشنج من اعمال مرو سنة 159 هـ ، كما تولى هرات وخلفه ابنه الحسين عملاً بالسياسة العباسية التي كانت تجنح الى استقرار الادارة في هذه النواحي .

2–طاهر بن الحسين "مؤسس الدولة"

هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ولد في مدينة بوشنج عام 159هـ، ونشأ فيها والتحق بخدمة العباسيين شأنه شأن أبيه وجده وذاع صيته في خراسان وعرف عنه حسن الإدارة والبراعة في القيادة، حيث كان طاهر في بداية أمره رئيساً لشرطة بغداد وجندها قبل أن يبدأ الصراع الدموي بين كل من الامين والمأمون، وقد ولاه المأمون على بوشنج عندما كان المأمون واليا على مقاطعات المشرق العباسي .

3 –دور طاهر بن الحسين في تسلم المأمون الخلافة

حينما بدأ الصراع بين الامين والمأمون قاد طاهر جيش المأمون ضد قوات الامين فقام بدوره في قهر الامين طمعا في المكاسب التي سوف يحصل عليها من وراء هذا العمل، فاشتبك مع علي بن عيسى قائد الامين وقتله سنة 195 هـ . وتقدم طاهر الى بغداد فانتقلت الحرب من الهجوم على مداخل خراسان الى الدفاع عن مداخل العراق وفي سبيل هذا الدفاع بذل الامين اخر جهد له فجند 20 ألفا من العرب ومثلهم من الابناء فهزمت قواته ثم حاصرت قوات طاهر بغداد حتى دخلتها وقتل الامين سنة 198هـ .

وقد كافأه المأمون بعد ان استقرت أمور الخلافة له، بان أسند اليه ولاية الجزيرة ولم يشأ المأمون أن يوليه خراسان حتى لا يستقل بها اذ لم يغب عن ذهن المأمون مدى ما يتمتع به طاهر من نفوذ في خراسان.

لكن طاهر لم يقنع بولاية الجزيرة اذ كان يطمع في اسناد ولاية خراسان اليه ومازال يطالب المأمون بذلك حتى أسند اليه سنة 205 هـ جميع البلاد شرقي بغداد.

فوطد نفوذه في خراسان واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته ثم اعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائياً بدولته الحديثة عن الدولة العباسية. ففي سنة 207هـ صعد طاهر المنبر وخطب الجمعة وأسقط اسم المأمون من الخلافة ولما بلغ الخبر المأمون غضب غضباً شديداً فكان ذلك مما قاده إلى حتفه.

4– خلفاء طاهر بن الحسين في الحكم

بعد وفاة طاهر بن الحسين سنة 207هـ أمر المأمون بتولية طلحة بن طاهر بن الحسين ولاية أبيه وذلك بالرغم من استيائه من الطاهريين الا أنه كان يخشى ان انتزع الامر من أيديهم أن تحدث اضطرابات في خراسان التي قوي فيها نفوذهم .

خلف عبدالله بن طاهر أخاه طلحة في الحكم سنة 213هـ، وكان عبدالله واليا على مصر قبل ذلك، وقد اتسع ملكه حتى شمل الري وكرمان علاوة على خراسان نفسها وكذلك الاراضي التي تقع شرقيها حتى الحدود الهندية وتمتد شمالا حتى حدود دولة الخليفة.

ولم تهتز مكانة الطاهريين في خراسان أو في بغداد في عهد المعتصم، بل زادت رسوخا، وصمدت للفتن والمؤامرات، فقد طمع الأفشين في ولاية خراسان، فأراد ان يوقع بين المعتصم وبين الطاهريين ، فاتصل بأحد دهاقين طبرستان واسمه مازيار بن قارن بن وندا هرمز وكان خارجا عن طاعة بني طاهر ويحمل خراجه الى المعتصم مباشرة ، ويذكر المؤرخون أن الأفشين كتب الى مازيار يحرضه على بني طاهر فأعلن مازيار الثورة ومنع الخراج وتحصن بجبال طبرستان ، ولم تجد حيل الأفشين فقد وقف المعتصم الى جانب الطاهريين يشد أزرهم، ففي الوقت الذي بعث فيه أمير خراسان عمه الحسن بن الحسين بن مصعب لقتال مازيار، فاذا بالمعتصم يبعث من قبله جيشاً بقيادة طاهري آخر يدعى محمد بن ابراهيم بن مصعب ومعه الحسن بن قارن الطبري.

كما وجه منصور بن الحسن صاحب دنباوند الى مدينة الري ليدخل عن طريقها الى طبرستان فهزم مازيار وثبت سلطان الطاهريين.

وظل الطاهريون على سياستهم التي وضعها مؤسس الدولة يحتفظون بنفوذهم في خراسان ولا ينصرفون عن أمور بغداد ونجدة الخلافة اذا احتاجت اليهم. وظهر دورهم هذا واضحا في عهد الخليفة المستعين، ووضح موقفهم أيضاً في ثورة الزيديين بالكوفة وطبرستان، ففي الكوفة ثار يحيى بن عمر بن يحيى الزيدي فتصدى له الفرع الطاهري في بغداد اذ خرج الحسين بن ابراهيم بن مصعب وقضى على جيش يحيى سنة 250هـ.

والامر الذي يؤكد ان الطاهريين لم تصرفهم أمور خراسان عن الاهتمام بما كان يجري في بغداد ما كان من تدخلهم في ازمة المستعين وثورة الترك عليه وخروجه من سامراء الى بغداد سنة 251هـ ولجوئه الى دار محمد بن عبدالله بن طاهر وأعد الخليفة المنافس المعتز جيشا لحرب المستعين ودارت بين الطرفين معارك طاحنة ثم عدل الطاهريون عن نصرة المستعين ولعب محمد بن عبدالله ابن طاهر دوراً بارزاً في خلع المستعين وبيعة المعتز وظل محمد بن عبدالله ابن طاهر ممثل الطاهريين في بغداد يلعب دورا بارزا في عهد المعتز وفي الفتنة التي وقعت في بغداد سنة 252هـ.

وكانت شرطة بغداد إرثاً في أسرتهم فلما توفي محمد بن عبدالله ابن طاهر سنة 253هـ خلفه أخوه عبدالله بن عبدالله بن طاهر

5–سقوط الدولة الطاهرية

كان محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية، وقد تولى الخلافة بأمر من الخليفة الواثق، لكنه لم يكن على شاكلة أسلافه، فقد كان يميل الى اللهو والعبث، فضعف أمره كحاكم وعجز عن اخضاع الثورات التي قامت ضده، ولما ازدادت الاضطرابات في الدولة الطاهرية استنجد أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث الصفاري لإعادة الامن والطمأنينة الى بلادهم، فوجد الامير الصفاري الفرصة مواتية لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الطاهرية المتداعية، فزحف بجيشه الى نيسابور سنة 259هـ ، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته. وبذلك زالت الدولة الطاهرية من الوجود وانتقلت من مسرح التاريخ الى كتب التاريخ.

الدولة الصفارية

أسس هذه الدولة يعقوب بن الليث الصفار، وهو قائد عسكري محنك بدأ حياته في قرية قرنين بإقليم سجستان، وسبب تلقيبه بالصفار يعود إلى اشتغاله بمهنة الصفارة (صناعة النحاس الأصفر والأحمر)، انضم في شبابه إلى فرقة المطوعة التي برزت في محاربتها للخوارج بسجستان ونظراً لقدراته تمكن يعقوب من الوصول إلى قيادة هذه الفرقة ثم السيطرة على كامل إقليم سجستان، غير أن طموحه كان أكثر حيث سرعان ما استولى بعدها على غزنة، وزابلستان، وكابل، ثم دخل إقليم خراسان فسيطر على هراة، وقصد بعدها نيسابور عاصمة الطاهريين فاستولى عليها وقبض على آخر أمرائهم محمد بن طاهر.

لم يكتف يعقوب بما أحرزه من انتصارات حتى أنه حاول الزحف نحو بغداد بعد أن رفض الخليفة توليته على كل المناطق التي سيطر عليها، ويُنسب إلى يعقوب بيت من الشعر يُعبر عما وصل إليه من اغترار بقوته جاء فيه:

خراسان أحويها وأعمال فارس ..... وما أنا من ملك العراق بآيس.

تقدم يعقوب نحو مدينة واسط بالعراق ليلتقيه جيش الخلافة في شهر رجب 262هـ/ 876م بمنطقة دير العاقول وألحق به هزيمة نكراء، جعلت يعقوب ينسحب إلى جنديسابور التي مات فيها بعد مرض ألم به.

تولى عمرو بن الليث إمارة الصفاريين بعد وفاة أخيه يعقوب ورغم ما أظهره من ود للخلافة العباسية إلا أنه لم يكن مكتفيا بما تحت يده من أملاك حيث طلب منها ضم أعمال ما وراء النهر إليه ولم يجد الخليفة المعتضد (279- 289هـ/ 892-903م) بدا من إقراره على هذه البلاد، غير أن إسماعيل الساماني رفض تسليمها لعمرو وكتب له قائلا: " **إنك وليت دنيا عريضة، وأنا في يدي ما وراء النهر، وأنا في ثغر، فاقنع بما في يدك واتركني بهذا الثغر**"، لم يقتنع عمرو بن الليث بهذا الخطاب مفضلا الحل العسكري الذي انتهى بهزيمته سنة 288هـ/ 900م ووقوعه أسيراً في يد إسماعيل الساماني.

كان لهذه الواقعة تأثير هام على تطور الأحداث السياسية في المشرق حيث كانت بداية النهاية الصفارية في حين سهلت للسامانيين مد نفوذهم إلى خراسان وباقي ممتلكات بني الصفار، ولم يتمكن الأمراء الذين جاؤوا بعد عمرو من الحفاظ على ما تبقى من أملاكهم أمام توسعات السامانيين حتى سقطت دولتهم كلها سنة 300هـ/ 912م.

جدول حكام الدولة الصفارية:

الحاكم	فترة الحكم
يعقوب بن الليث	247- 265هـ/ 861-879م
عمرو بن الليث	265-287هـ/ 879- 900م
طاهر بن محمد بن عمرو	287- 296هـ/ 900- 909م
الليث بن علي بن الليث	296- 298هـ/ 909- 910م

محمد بن علي بن الليث	298–هـ/ 910م
عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو	299– 300هـ/ 911– 912م